دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	العلاقة الزوجية للمرأة السواحلية بين القديم والحديث في الأدب السواحلي: دراسة تحليلية نقدية
المصدر:	مجلة كلية اللغات والترجمة
الناشر:	جامعة الازهر - كلية اللغات والترجمة
المؤلف الرئيسي:	أبو عجل، محمد إبراهيم محمد
المجلد/العدد:	ع9
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2015
الشهر:	يوليو
الصفحات:	11 - 48
رقم MD:	753069
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الأدب السواحلي، علاقات المرأة، حقوق المرأة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/753069

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

العلاقة الزوجية للمرأة السواحلية

بين القديم والحديث في الأدب السواحلي

دراسة تحليلية نقدية

بقلم أ. د. محمد إبراهيم محمد أبو عجل

أستاذ الأدب السواحلي

كلية اللغات والترجمة

جامعة الأزهر

مقدمة:

إن العلاقة الزوجية في الإسلام أحاطها الله سبحانه وتعالى بسياج من الأمن والاستقرار والمودة والرحمة والتفاهم والتصالح والسكينة لما أراد الله لها من الدوام والخلود، فقال تعالى: {**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**} (الروم: ٢١). وقد وصف الله تعالى عقد الزوجية في الإسلام بالميثاق الغليظ أي العقد القوي الموثق فقال: {**وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**} (النساء: ٢١). وذلك لأنه عقد يؤدي بكل طرف أن يصبح لباسًا للآخر وسترة له كالجسد الواحد عليه لباسه: {**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**} (البقرة: ١٨٧).

ومن هنا حرص الإسلام على ألا يقع الطلاق والانفصال بين الزوجين إلا بعد استنفاد كل الطرق والوسائل الممكنة للإصلاح بين الزوجين لو حدث أن وقعت بينهما كراهية. ومن هذه الوسائل: الوعظ والإرشاد والهجر في المضاجع وتعيين حكمين من أهله وأهلها للإصلاح والتوفيق بينهما لتجنب وقوع الطلاق (النساء: ٣٤ – ٣٥).

ويتجلى حرص الله تعالى على دوام الزواج والابتعاد عن الانفصال بكل الطرق والوسائل حتى وإن دبت الكراهية بين الطرفين في قوله تعالى: {**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**} (النساء: ١٩).

ولكن إذا استحالت الحياة في النهاية بين الطرفين، بعد استنفاد كل ما سبق، وتعذرت العشرة بينهما، ولم يعد هناك حل إلا الانفصال والتسريح فليكن ذلك، ولكن بشرط أن يتم بالإحسان والمعروف لقوله تعالى: {**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**} (البقرة: ٢٢٩) وقوله تعالى: {**فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**} (البقرة: ٢٣١).

قضية البحث:

يرى الباحث أن المجتمع السواحلي كان في الماضي أكثر تمسكًا بهذه القيم الإسلامية للعلاقة الزوجية عما هو عليه الآن في عصرنا الحالي، مما دفع إلى القيام بهذا البحث، لعله يجيب عن التساؤلات الآتية من خلال الأدب السواحلي:

١- ما مكونات العلاقة الزوجية السواحلية قديمًا وآثارها؟

٢- ما مكونات العلاقة الزوجية السواحلية حديثًا وآثارها؟

٣- كيف يتم التوفيق والتصالح بين القديم والحديث لإصلاح هذه العلاقة؟

يجيب عن التساؤل الأول العمل الأدبي الشهير المتمثل في قصيدة موانا كوبونا:

قصيدة موانا كوبونا:

نبذة تاريخية:

هذه القصيدة من القصائد التي وجدت طرقها إلى النشر في أوربا على يد أليس فارينر Alice Werner في أوائل القرن العشرين، وذلك عندما نسخها لها الشاعر السواحلي محمد كيجوما بالحرف العربي عام ١١/ ١٩١٢ عندما كانت أليس في لامو. وقامت أليس بنشرها عام ١٩١٧ بعد تحويل حرفها العربي إلى الحرف اللاتيني، وبعد أن ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية(١).

وفي عام ١٩١٣ قام محمد كيجوما بنسخ القصيدة للبروفيسور الألماني ماينهوف(٢).

---

(1) Alice Werner: The Utendi of Mwana Kupona, Harvard African Studies, Vol. 1, Cambridge, 1917, PP. 147-181.

(2) Mohammad ibrahim. M. Abouegl The life and Works of Muhamadi Kijuma, London

وفي عام ١٩٣٣ طلب وليام هيتشنز William Hichens من محمد كيجوما أن ينسخ له نسخة من القصيدة وأنجز له محمد ما طلبه(١). وقام وليام هيتشنز مع أليس فارينر بنشر القصيدة عام ١٩٣٤م(٢). فإلى الحرف العربي الذي هو ابن الحضارة الإسلامية يرجع الفضل في أن الدنيا كلها أحيطت علمًا بهذه القصيدة وقيمتها الرفيعة. وقامت جريدة أخبار اليوم السواحلية Mambo Leo بنشر القصيدة معتمدة على نسخة هيتشنز وفارينر، وكذلك نشرها ليندن هاريس Lyndon Harries في كتابه «الشعر السواحلي Swahili Poetry» عام ١٩٦٢م، يعني معتمدًا على نسخة هيتشنز وفارينز(٣).

وفي عام ١٩٧١ قام آلن J. W. T. Allen بنشر القصيدة معتمدًا على أكثر من مخطوطة لها(٤).

فالقصيدة من عيون الشعر السواحلي وروائعة التي هي محل حفظ من جميع السواحليين المهتمين بالثقافة السواحلية.

والقصيدة تم نظمها في ذي الحجة ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م في باتي (بكينيا حاليًا) قبل وفاة ناظمتها موانا كوبونا Mwana Kupona بسنتين إذ إن موانا كوبونا توفيت عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م كما سنعرف من ملخص سيرتها بالمبحث التالي:

University, 1983, P. 195.

(١) نفس المرجع السابق.

(2) Alice Werner and William Hichens: The Advice of Mwana Kupona upon the Wifely Duty, The Azania Press, Medstead-Hampshire, 1934.

(3) Lyndon Harries: Swahili Poetry, Oxford University Press, 1962, PP. 72-86.

(4) J. W. T. Allen: Tendi, Heinemann 1971, PP.

القصيدة:

القصيدة لشهرتها الواسعة وانتشارها الكبير في شرق القارة كان لها أكثر من نسخة، وكل نسخة تختلف عن الأخرى في بعض الألفاظ والمرادفات، ولقد سجل آلن J. W. T. Allen في كتابه «القصائد Tendi» خمس عشرة نسخة لها مع الإشارة إلى أوجه اختلاف كل نسخة عن الأخرى، ثم اختار في نشره للقصيدة نسخة وليام هيتشنز وأليس فارينر فيما يتعلق بترتيب الأبيات من أول القصيدة وحتى البيت قبل الأخير الذي يحمل رقم ٩٨، ثم جاء آلن وأضاف أربعة أبيات من نسخة أخرى، جاعلًا البيت رقم ٩٨ (أي البيت الأخير في نسخة هيتشنز وفارينر) هو البيت رقم مائة في كتابه اعتمادًا على نسخة أخرى للقصيدة، أي أنه جعل عدد أبيات القصيدة في كتابه مائة بيت واثنين، وللقارئ أن يعلم أن هذه الأبيات الأربعة التي أضافها آلن من نسخة أخرى قد أشار إليها هيتشنز وفارينر في نسختهما بأنهما على علم بوجود نسخ أخرى للقصيدة تحمل هذه الأبيات(١).

ولذلك فإن الباحث سيعتمد في نشره للقصيدة على نسخة هيتشنز وفارينر مع إضافة الأبيات الأربعة التي جاءت في نسخة آلن.

ناظمة القصيدة:

ناظمة القصيدة هي موانا كوبونا بنت مشام المولودة في باتي عام ١٨١٠م تقريبًا، والمتوفاة عام ١٨٦٠م تقريبًا، أي أنها عاشت حياتها خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر.

وتزوجت من محمد إسحاق بن مبارك بن محمد بن عمر الفماوي المشهور باسم بوانا ماتاكا Bwana Mataka شيخ سيؤ Siu (في كينيا حاليًا). وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإن أسرة الفماوي هذه مشهور عنها

(1) Alice Werner and William Hichens: The Advice of Mwana Kupona upon the Wifely Duty, The Azania Press, Medstead-HamPshire, 1934, P. 80.

في شرق إفريقيا بأنها أسرة برجع أصولها إلى الأصل العربي البرتغالي. ويقول النسابون في ذلك أن سيدة برتغالية نجت مع زوجها من الغرق في سفينة تحطمت وهي في طريقها من شرق القارة إلى جوا (بالهند)، فهبطا الزوجان في سيؤ واستقرا فيها وذلك خلال القرن السابع عشر. وبعد أن تعرفا على الإسلام اعتنقاه، ولكن الزوج سرعان ما توفي تاركًا زوجته من بعده وهي ما زالت شابة صغيرة، فتزوجت من شاب عربي من أسرة بني عمير. ومن هذا الزواج انحدرت سلالة أسرة بوانا ماتاكا(١).

وتزوج بوانا ماتاكا من موانا كوبونا عام ١٨٣٦م تقريبًا، وعاشت معه في سيؤ وأنجبت له ابنًا يدعى محمد بن شيخ، وابنة تدعى موانا حشمة بنت شيخ عام ١٨٤١م، وهذه الابنة هي التي جاء نظم القصيدة من أجلها عام ١٨٥٨م، وهذا يعني أن عمر الابنة كان سبعة عشر عامًا حينما نظمت لها أمها القصيدة(٢).

والشاعرة الوالدة توصي ابنتها في القصيدة بما لها وما عليها تجاه زوجها من قول وفعل وهي في مرض موتها الذي طال بها عدة سنوات، وتوفيت الشاعرة في باتي عام ١٨٦٠م بعد وفاة زوجها بوانا ماتاكا بأربع سنوات(٣).

وابنتها التي من أجلها جاءت القصيدة تزوجت من محمد كومبو وأنجبت له محمدًا. وبعد عشرين سنة تزوجت من أبي بكر بن محمد وأنجبت له خديجة. وفي ٢/ ٢/ ١٩٣٣م توفيت في لامو عن عمر يربو على التسعين عامًا(٤).

(١) نفس المرجع السابق، صـ ١٥-٢٢.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) نفس المرجع السابق.

(٤) نفس المرجع السابق.

تحليل القصيدة:

الأبيات ١ – ١١:

في البيت الأول تنادي الشاعرة ابنتها أن تذهب إليها لتوصيها بوصية تطلب منها تنفيذها، وتفصح الشاعرة الأم عن الهدف من ذلك بأنها تقدم على ذلك لاحتياجها للحسنات والثواب من الله.

فواضح للقارئ أن الشاعرة في ذلك تعتبر وصيتها من العلم النافع الذي ينفع صاحبه لا في حياته فحسب بل بعد مماته كذلك. فابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث كما جاء في حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم-: «صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»(١).

وتخبرنا الشاعرة الأم في البيت الثاني عن مرضها الملازم من عام مضى والمستمر معها والذي تشعر معه بقرب نهاية أجلها، ولذلك فهي تود كثيرًا أن تتحدث مع ابنتها حديث الأم لمولودها، خاصة وأنها منذ ولادتها لابنتها لم تتحدث إليها بالكلمة الطيبة التي تريدها.

وهذا يذكرنا بالكلمة الطيبة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: { **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)**} (٢). وكما جاء في الحديث: «.... والكلمة الطيبة صدقة»(٣).

وفي البيت الثالث تخاطب الأم ابنتها برقة وحنان، وتطلب منها أن تتقدم وتتفضل بالجلوس إليها ومعها أدواتها الكتابية لتكتب وتسجل ما ستمليه عليها لعلها لا تنساه، خاصة وأن الحديث نابع من القلب.

---

(١) محيي الدين أبو زكريا يحيى شرف النووي الشافعي: رياض الصالحين، دار الدعوة، الإسكندرية، عام (بدون)، ص٣٣٨.

(٢) سورة إبراهيم، الآيتين ٢٤-٢٥.

(٣) رياض الصالحين، مرجع سابق، ص٢٠٢.

وفي البيت الرابع تعريف للقارئ بأن الابنة قد نفذت ما طلبته منها أمها، وجلست متأهبة لكتابة ما سيملى عليها. وهنالك أخذت تملي عليها نظمها ووصيتها بادئة باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

وبعد الانتهاء من تسمية الله والصلاة على رسوله الكريم تتوجه الشاعرة إلى الله بالدعاء، في أن يوفقها فيما هي قادمة عليه من نظم توصي به ابنتها، وتوعظها به وعظًا ينير لها طريقها في الدارين مثلما ينير العقد من اللؤلؤ والمرجان جيد من ترتديه.

الأبيات ١٢ – ٢١:

في البيت الثاني عشر توصي الأم ابتنها أن تتمسك بالدين وذلك بالإتيان بالأوامر كلها سواء أكانت فرضًا واجبًا أم سنة مستحبة ومندوبة.

والشاعرة بهذه الوصية الثمينة جعلت من وصيتها وصية جامعة مانعة، إذ إن الإنسان بإتيانه للفرض وللسنة يكون في نفس الوقت قد تجنب الكبائر وابتعد عن الصغائر، فيكون بذلك قد جلب لنفسه المنفعة ودرأ عنها المفسدة، فيحيا حياة سعيدة في الدارين. فتحيا في الدنيا حياة طاهرة خالية من الأمراض الجنسية والنفسية، وتفوز في الآخرة بالجنة.

وفي البيت الثالث عشر توصي الأم ابنتها أن ترعى أدب اللسان وتحفظه.

والأم تؤكد على أدب اللسان لأنه –في رأي الباحث– هو الأدب الأكبر، إذ إن الإنسان يوزن بقوله. فمن قوم لسانه زان عقله، ومن سدد كلامه أبان فضله، إذ إن كيفية القول دليل على كنه العقل. والمرء محكوم عليه بأصغريه (أي بلسانه وقلبه)، وحتى بالطريقة التي ينطق بها لسانه للكلمة. والحديث النبوي الذي يذم الثرثارين

والمتشدقين والمتفيهقين لهو خير دليل على ذلك: «.... وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»(١)*.

ولذلك لما سئل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن أكثر ما يدخل الناس النار قال: «الفم والفرج»(٢).

والأدب العربي بحكمه وأمثاله يقول في ذلك: «طعن اللسان أشد من طعن السنان، وجرح الكلام أشد من جرح الحسام»(٣).

من هنا تتبين لنا أهمية اهتمام الشاعرة في وصيتها لابنتها بأدب اللسان، وبأن يكون لسانها مثابًا ومحبوبًا، فيحبها زوجها وأهلها والناس أجمعون.

وفي البيت الرابع عشر توصيها بالوصية أو النصيحة الثالثة وهي الصدق في القول والعمل والتمسك بالحق، مع تحمل الواجبات المنوطة بها وأدائها على خير وجه. وهذه وصية جامعة للخير مانعة للشر، لما تشمل عليه من عناصر ثلاثة يصلح كل عنصر منها أن يكون موضوعًا لكتاب كبير. والباحث يحيل القارئ في ذلك إلى بعض ما جاء في القرآن الكريم من حديث عن الصدق والصادقين، ومن حديث عن الحق والتمسك به، وإلى ما جاء في السنة النبوية كذلك. ومن آيات القرآن وأحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– في ذلك قول الله تعالى: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**}(٤). وقوله تعالى: { **فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ**}(٥) ومن

(١) رياض الصالحين، مرجع سابق، صـ ١٨٦.

- والثرثار هو كثير الكلام تكلفًا، والمتشدق هو المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بمليء فيه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه، والمتفيهق هو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه ويغرب به تكبرًا وارتفاعًا وإظهارًا للفضيلة على غيره.

(٢) نفس المرجع السابق، صـ١٨٥.

(٣) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: الفوائد والقلائد، مصر ١٣٢٧هـ، صـ٢٤.

(٤) سورة التوبة، آية ١١٩.

(٥) سورة محمد، آية ٢١.

الأحاديث قول النبي –صلى الله عليه وسلم-: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا...»(١).

ومن الآيات القرآنية في الحق قول الله تعالى: { **وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**}(٢)، وقوله تعالى:{ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**}(٣).

والحق من أسماء الله الحسنى، وفي ذلك يقول القرآن :{ **ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ**}(٤). وقوله تعالى:{ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ**}(٥). وقوله تعالى: { **قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ**}(٦). وجاء في الحديث الرسول –صلى الله عليه وسلم-: «الحق بعدي مع عمر»(٧).

وإن الإتيان بالصدق وبالحق والتمسك بهما إنما هو التمسك بالواجب الذي يؤدي بصاحبه إلى الفوز المطلق في الزمان والمكان. وبهذا تريح الابنة كل من يتعامل معها سواء أكان زوجًا، أو أهلًا، أو وطنًا. وبذلك تزرع الخير في كل الأرجاء، فيتمسك بها الجميع تمسكه بنفسه. وهذا ما قصدته الشاعرة الأم.

(١) رياض الصالحين، مرجع سابق، صـ٢٥.

(٢) سورة البقرة، آية ٤٢.

(٣) سورة الأنبياء، آية ٨١.

(٤) سورة الأنعام، آية ٦٢.

(٥) سورة المؤمنون، آية ٧١.

(٦) سورة ص، آية ٨٤.

(٧) لسان العرب لابن منظور، تحت مادة: الحق.

وفي البيت الخامس عشر وحتى الثامن عشر تنصح الأم ابنتها بالتواضع، وخاصة مع أصحاب الجاه والسلطان لإنزال الناس منازلهم. وهذا في رأي بعض الناس من أدب السياسة. وهو أدب يمكن للباحث أن يدلل به على تأثر الشاعرة به نظرًا لزواجها من شيخ سيؤ ورئيسها بوانا ماتاكا، كما ذكرنا آنفًا.

والأم توصي ابنتيها في ذلك بأدب السلوك الرفيع مع أصحاب الدرجات العلا، وبإظهار الاحترام لهم، ومن هذا الاحترام النهوض لهم والإسراع بتحيتهم وتقديمهم على من سواهم، وأن تفعل كل ذلك وهي بشوشة فرحة بهم، ومتحدثة إليهم بكلمات تجلب الفرح والسعادة، وذلك مثلما توضحه الأبيات ١٦ – ١٨.

وهذه السلوكيات كلها هي من محاسن الإسلام، فالتواضع بشكل عام مطلوب في الإسلام، وهو من محاسن الأخلاق التي حث عليها الإسلام وأوصى بها. فالله تعالى يقول: { **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**}(١). والرسول يقول: «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا .....»(٢).

والتواضع لا يكون في شيء إلا زانه. فبالتواضع تكون الزوجة مزانة في أعين الجميع، ومن كان مزانًا في أعين الجميع يركن إليه الجميع ويتخذه قدوة.

والتواضع ضده الكبر، والكبر نبذه الله ورسوله، فالله تعالى يقول: { **تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**}(٣)، ويقول: { **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا**}(٤)، ويقول: { **وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**}(٥).

---

(١) سورة الحجر، آية ٨٨.

(٢) رياض الصالحين، مرجع سابق، ص١٨١.

(٣) سورة القصص، آية ٨٣.

(٤) سورة الإسراء، آية ٣٧.

(٥) سورة لقمان، آية ١٨.

ويقول الرسول –صلى الله عليه وسلم-: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر...».

أما وصية الأم لابنتها بالبشاشة وبطيب الكلام وأحسنه –حتى في المزاح مع علية القوم- فإن ذلك من أدب السياسة كما سبق أن ذكرنا. وهو أدب له مثيله في الأدب العربي الذي يقول حكماؤه في ذلك: «استعمل في الضعفاء حسن الرئاسة، واستعمل في الأقوياء حسن السياسة، ولا تستخفن بشريف، ولا تميلن إلى سخيف، ولا تقولن هجرًا، ولا تفعلن شرًا، فمن استخف بشريف دل على لؤم أصله، ومن مال إلى سخيف أبان عن ضعف عقله، ومن قال هجرًا أسقط قدره، ومن فعل شرًا قبح ذكره، فكل امرئ يهرب من ضده ويرغب في مثله، وينزع إلى أرومته، ويعمل على شاكلته»(١).

ويقول حكماء العرب وأدباؤهم في ذلك أيضًا: «إذا لاعبك الملك استعمل حسن الأدب، واستوف حق اللعب، وساوه في الملاعبة، وجاره في المطايبة، ثم لا يخرجنك ما تراه من أنسه بك، وقربه منك، واحتماله لك، وإغضائه عنك إلى الصياح، ومكروه المزاح، ورقة القول، ومستقبح الهزل»(٢).

وهذا الأدب السياسي بحكمه ووصاياه، ومن قبله الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وما يحمل كل ذلك من معان نجدها تغطي نفس المعاني التي جاءت بالأبيات الشعرية في قصيدتنا من البيت رقم ١٥ وحتى رقم ٢١.

وهذا التطابق في المعاني بين الأدبين العربي والسواحلي الإسلاميين لم يجئ إلا من كون معين ثقافتهما معين واحد وهو الإسلام، وثقافته، وحضارته التي توحد بين فكر معتقديه وإن اختلفت البيئات، وتباينت الألسن. وفي ذلك دليل أيضًا على تفاعل المرأة المسلمة مع جميع فئات المجتمع: رؤسائه ومرءوسيه، وحرصها على تحصيل أدب التعامل مع جميع مستويات البشر مما يدل على انخراطها في جميع أنشطة مجتمعها في ضوء تعاليم الإسلام.

(١) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، الفرائد والقلائد، مصر، ١٣٢٧هـ، صـ٢٦-٥٩.

(٢) نفس المرجع السابق، صـ٢٧.

الأبيات ٢٢ – ٥٧:

في البيت الثاني والعشرين تطلب الأم من ابنتها أن ترعى خمسة: أولهم هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد، وثانيهم هو نبي الرحمة المهداة للبشرية محمد –صلى الله عليه وسلم–، وثالثهم ورابعهم هما الوالدان، وخامسهم هو الزوج. وتعرفها أن هؤلاء الخمسة قد تكرر ذكرهم، وورد كثيرًا في كتاب الله وسنة رسوله، فلابد من مراعاتهم.

والشاعرة تقصد بمراعاة الله ورسوله أن تتبع ابنتها أوامر الله التي جاء بها الرسول الكريم، وأن تجتنب ما نهى عنه على لسان المبعوث رحمة للعالمين.

وبمراعاة هذا تنسحب المراعاة فورًا وتلقائيًّا إلى الوالدين، وإلى الزوج وزوجه، إذ أن الله سبحانه وتعالى في أوامره تلك أوصى بهؤلاء جميعًا خيرًا في كتابه الكريم، وبذلك جاءت كذلك الأحاديث النبوية.

ومراعاة الله ورسوله والوالدين والزوج تتمثل في إطاعتهم. وطاعة الله ورسوله نص عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: { **وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**}(١).

وذلك لأن الرسول –صلى الله عليه وسلم– لا ينطق عن الهوى: { **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**}(٢)، ولذلك نجد توجيه الله تعالى لنبيه: { **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ....**}(٣)، وقوله تعالى: { **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**}(٤).

(١) سورة الحشر، آية ٧.

(٢) سورة النجم، آية ٣– ٤.

(٣) سورة آل عمران، آية ٣١.

(٤) سورة النساء، آية ٨٠.

أما الأحاديث النبوية في طاعة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فهي كثيرة أيضًا، ويجمعها قوله –صلى الله عليه وسلم–: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»(١).

ثم إن القرآن والسنة أمرا كلًا منهما بطاعة الوالدين ومراعاتهما في أكثر من آية وأكثر من حديث، ومن ذلك قوله تعالى: { **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**}(٢).

ومن الأحاديث قول الرسول –صلى الله عليه وسلم– عندما سئل عن أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «...بر الوالدين .....»(٣).

أما مراعاة الزوجة لزوجها فهو محور القصيدة وصلب موضوعها، ويقع ذلك فيما بين البيت الرابع والعشرين وحتى السابع والخمسين على النحو التالي:

٢٤- أن تحرص على إرضاء زوجها طوال حياتها.

٢٥- هذا الحرص يؤدي بها إلى نيل الدرجة العظيمة لها عند الموت.

٢٦- ليس عند الموت فحسب وإنما عند البعث كذلك.

٢٧- وهذا يؤدي بها إلى دخول الجنة.

---

(١) رياض الصالحين، مرجع سابق، صـ٥٨.

(٢) سورة الإسراء، آية ٢٣ – ٢٤.

(٣) رياض الصالحين، مرجع سابق، صـ ١٠١.

٢٨- أن تعيش مع زوجها في أدب وألا تجعله يغضب، وإذا غضب فلتجتهد هي في مسك نفسها عن الغضب.

٢٩- أن تعاشره بإخلاص ولا ترفض له طلبًا، عندئذ يستحيل لسوء الفهم أن يجد له مكانًا بينهما.

٣٠- ألا تتخلى عن أدب السلوك اللطيف معه، ولمساته الحانية الرقيقة من توديع له عند الخروج، ومن تحيته عند القدوم، ومن إعداد مكان راحته واسترخائه، وما إلى ذلك.

٣١- ألا تبتعد عنه عند نومه بل تحرص على أن تكون على مقربة منه، وأن تحرص على ملاطفته.

٣٢- أن تحرص على توفير الجو الهادئ له عند نومه، حتى يتمكن من أخذ نصيبه الموفور من النوم شريطة ألا تبتعد عنه، كي تكون في متناوله عندما يتيقظ أو يستيقظ.

٣٣- أن تعد له طعامه بعد أن يستيقظ، وتحرص على تدليك جسده، والاعتناء به من تعطير واستحمام وما شابه ذلك.

٣٤- وأن تعتني بتهذيب شعره من حلق وتقصير ودهان.

٣٥- يعني أن ترعاه كالطفل الذي لم يعرف الكلام بعد، مع حسن التصرف في ميزانية البيت، والتوازن فيما بين الإنفاق والدخل.

٣٦- بفعلها ذلك سيكون الله تعالى دائمًا معها، وناصرها، ومدافعًا عنها عند وقوع أي مكروه.

٣٧- أن تعتني بنظافتها ونظافة بيتها.

٣٨- أن تعتني بنظافة جسدها ودهنه وتعطيره، مع تضفير شعرها ونثر الرياحين عليه وعلى فراشها.

٣٩- أن تتزين بأحسن الزينات وأن ترتدي أحسن اللباس وأثمن الجواهر في كل أطرافها.

٤٠- أن تتعطر بأجود أنواع العطور.

٤١- أن تحتفظ بجواهرها في أطرافها وألا تخلعها البتة، وألا تتوقف عن طلاء أظافرها بالحناء، وعن تكحيل عينيها وحواجبها.

٤٢- أن تحرص على دوام نظافة المنزل، لما في ذلك من تشريف لها ولزوجها، وخاصة أمام الآخرين.

٤٣- أن تتعرف على ما يحبه فتلازمه، وعلى ما يكرهه فتبتعد عنه وتتخلى.

٤٤- أن تتحصل على إذن الخروج إذا ما أرادت الخروج، وإلا فلا خروج.

٤٥- أن تلتزم وتتبع ما يشير به عليها في موضوع الخروج، وعليها ألا تجلس على قارعة الطريق أمام المنزل.

٤٦- أن تمتنع عن التحدث في الطريق إذا خرجت، وألا يظهر من جسدها شيء في الشارع، وعليها في كل ذلك غض البصر، والاكتساء بجلبات الحياء.

٤٧- أن تعود إلى المنزل سريعًا عند خروجها لتأنس بزوجها ويأنس إليها زوجها، مع إعداد الفراش المريح.

٤٨- أن تعظم زوجها، وتنوه وتشيد بإيجابياته، وتغض الطرف عن مطالبته بما لا يستطيع الوفاء به.

٤٩- أن تظهر له سعادتها بما يعطيها إياه، وأن تتخلى عن إحراجه في أن تلوح له بعمل شيء من أجلها لم يقم هو بفعله من تلقاء نفسه.

٥٠- أن تبتسم كلما نظر إليها ونظرت إليه وأن تلبي كل ما يطلبه منها في غير معصية الله.

٥١- أن تحتفظ دائمًا بأدب اللسان فلا تكن سليطة اللسان، وأن تقلد أمها (الشاعرة) في ذلك إذ أن أمها طوال فترة زواجها لم يحدث ولو لمرة واحدة أن تفوه لسانها بكلمة سليطة.

٥٢- أن تعرف أن تطبيق أمها لكل الوصايا سابقة الذكر جعلها تتمتع مع زوجها بكل أنواع المتع، والسعادة، طوال فترة زواجها.

٥٣- أن تعلم أن أمها وأباها —من أجل ذلك- لم يتشاجرا ولم يؤذ أحدهما الآخر ولو لمرة واحدة، أو ليوم واحد.

٥٤- أن تعلم أن أباها (بوانا ماتاكا) من أجل ذلك مات وهو راض عن أمها (موانا كوبونا)، وقد أفصح عن هذا الرضا، وعبر أكثر من مرة، وأكده عند موته.

٥٥- أن تعلم أن ذكرى أبيها عند أمها هي ذكرى غالية عليها، وكلما تتذكر عشرته كلما تبكي، ولا تكف عن البكاء حزنًا على فراقه.

٥٦- أن تعرف أن البشر إنما يتذكر كل منهم الآخر في حالة انطياع كل منهم للآخر، دونما تصارع يؤدي إلى ألم أو ندم.

٥٧- أن تحرص على تنفيذ كل ما أوصاها به زوجها، وأن تفعله عن طيب خاطر، وأن تحرص على حب أهلها وذويها.

ولنا هنا وقفة:

إن المتأمل للوصايا السابقة والتي تقع فيما بين البيت الرابع والعشرين والسابع والخمسين يجدها وصايا ونصائح ثمينة يقل أن يجود بها نظم شعري في أدب آخر، خاصة وأن هذه النصائح جاءت من أم خبيرة بأمور الزوجية وشئونها، وتريد لابنتها السعادة الزوجية طوال حياتها.

فالأم الشاعرة المسلمة لعلمها بأهمية عنصر رضا الزوج على زوجته في الدنيا والآخرة بدأت به في وصيتها لابنتها بالبيت الرابع والعشرين، وأخذت تعدد لها العوامل المؤدية إلى إرضاء الزوج —حيث تكمن سعادتها وسعادته معًا- في الأبيات التي تلت. والباحث على ثقة بأن الأم الشاعرة كانت تحمل في عقلها وقلبها أثناء إعطاء وصيتها

حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– القائل: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»[١]، وتأتي الأبيات الشعرية بعد ذلك وكأنها تشرح كيف تجعل زوجها راضيًا عنها. وأخذت تعدد لابنتها العوامل والطرق التي من شأنها تؤدي إلى تحقيق ذلك الإرضاء، وكلها عوامل تستمد سندها من تعاليم الإسلام الحنيف. فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد موضوع وصيتها لابنتها في البيت الثامن والعشرين بألا تغضب زوجها وإذا غضب فلتمسك نفسها عن الغضب هو موضوع له سنده في الإسلام ومصدريه الأساسيين: القرآن والسنة: ففي القرآن يقول الله تعالى ممتدحًا كاظمي الغيظ: { **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**}[٢]. وقوله تعالى: { **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**}[٣]، وقول الرسول –صلى الله عليه وسلم– للرجل الذي طلب منه أن يوصيه فأوصاه –صلى الله عليه وسلم– بقوله: «لا تغضب»[٤]. وقوله: «ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٥].

وبامتلاك الإنسان نفسه عند الغضب يمتلك نفوس كل البشر، فلا تقع الخلافات ولا المشاحنات بل يسود الإسلام، وينتشر الوئام، ويعم التفاهم والإخاء والحب، وهذا ما تريده الشاعرة في منزل الزوجية لابنتها ومجتمعها كله.

وكل الوصايا والنصائح السابقة إذا أردنا أن نأتي لها بسند من القرآن والسنة لوجدناه بيسر وسهولة، ولكن لن تتسع مساحة البحث لكل ذلك فنكتفي بالقول بأن كل هذه الوصايا والنصائح الغالية في الأبيات الشعرية السابقة إنما تجعل من الزوجة السيدة الصالحة التي إذا أمرها زوجها أطاعته، وإذا نظر إليها سرته، وإذا غاب عنها

(١) رياض الصالحين، مرجع سابق، صـ٩٥.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٣٤.

(٣) سورة فصلت، آية ٣٤ – ٣٥.

(٤) محيي الدين أبو زكريا يحيى شرف النووي الشافعي: رياض الصالحين، دار الدعوة، الإسكندرية، عام (بدون)، صـ١٨٨.

(٥) نفس المرجع السابق، صـ١٩٠.

حفظته في نفسها وماله. ومن هنا ينطبق عليها ويتحقق فيها قول الرسول –صلى الله عليه وسلم–: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[1]. وهناك حديث نبوي يشمل كل ذلك كما جاء في نيل الأوطار للشوكاني: عن ابن عباس عند أبي داود والحاكم بلفظ: «ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء، المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا غاب عنها حفظته، وإذا أمرها أطاعته».

نقطة أخيرة:

تبقى أمامنا نقطة أخيرة تجدر الإشارة إليها –ونحن بصدد الأبيات الخاصة بالحياة الزوجية وما ينبغي أن تكون عليه داخل البيت السواحلي المسلم، والتي هي الغرض من القصيدة –وذلك لما تمثله هذه النقطة من حملة مسعورة يقوم بها من يكيدون للإسلام وللمسلمين، ومن لا يهدأ لهم طرف حتى يدمروا بيوت المسلمين من الداخل مثلما تدمرت بيوتهم من داخلها، نظرًا لانهيار الحياة الزوجية عندهم داخل مجتمعاتهم غير الإسلامية، بسبب انحلالهم مع نسائهم، والإباحية الجنسية بينهم جميعًا. وهم نفر منتشرون حول العالم، ولا يغفل لهم طرف عن المحاولة الدائمة في أن ينالوا من الإسلام والمسلمين عامة، ومن المرأة المسلمة خاصة. إنهم يقومون بمحاولة النيل هذه تحت غطاء شعارات رنانة يبثونها من خلال هيئات أو منظمات أو حتى أحزاب تقوم بتنظيم لقاءات وندوات، سواء أكانت تلك اللقاءات على مستوى دولي أو إقليمي أو محلي. ويحاولون جاهدين تسويق فكرهم الذي عادة ما يأخذ في ظاهره الدعوة إلى تحرير المرأة وتحررها من قيود مجتمعها، بينما هو في جزء كبير منه تخريب للمجتمع كله في قيمة وتراثه من داخله. وهؤلاء النفر عادة ما يجهلون أو يتجاهلون تعاليم الإسلام ونعمه ورحماته على البشرية جمعاء إذا تم الأخذ بها كنظام شامل متكامل لمنهج الإنسان في الحياة، ولذلك فإنهم عندما يتحدثون في لقاءاتهم هذه أو يكتبون فإنهم يتحدثون عن موضوع الحديث من رواية واحدة، ويجلهون أو يتجاهلون الزوايا

(١) نفس المرجع السابق، صـ ٩٤.

الأخرى. ثم يأتي على أثرهم أدعياء العلم من غير المسلمين، أو حتى من المسلمين الإمعات، ويروجون لذلك في بعض المعاهد العلمية وبعض الدوائر داخل المجتمعات الإسلامية، مصورين كذبًا محافظة المرأة المسلمة على دينها وخلقها بالتخلف والرجعية وتحكم الغير فيها، علمًا بأن المرأة المحافظة على دينها وخلقها هي التي أنجبت وتنجب العلماء الصالحين، وهي التي ربت وتربي الأبطال الذين يدافعون عن الأوطان والمواطنين من كل مغتصب، أو معتدٍ أثيم. ولذلك فإن من يهاجم في المرأة المسلمة تمسكها بدينها تحت أي غطاء إنما هو أحد رجلين: إما إنه يجهل أو يتجاهل حقيقة وكنه الدين الإسلامي، وإما إنه مأجور من منظمة أو هيئة أو حزب. والهدف في الحالتين العمل على نشر الإباحية والتمرد تحت غطاء الحرية والمساواة.

وعلى هذا النفر سواء أكان من الجاهلين أم من المتجاهلين، أم من المأجورين، أن يعلم أن المرأة المسلمة هي الملكة المتوجة في مجتمعها وخاصة داخل الأسرة. وهي الخلية الأولى المكونة لخلايا المجتمع كله. وهي الأساس للبناء الاجتماعي كله داخل الوطن، وهذه حقيقة يعلمها ويلمسها كل من تربى تربية إسلامية صحيحة، لأن الإسلام حض الأسرة على مراعاة الأم أولًا وثلاث مرات، بينما حض على مراعاة الأب ثانيًا ومرة واحدة. ثم إن الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان –وقبل مجيء هذا النفر– قد سوى بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، وأعطاهما حريتهما في شئونهما السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بما يتناسب مع فطرة ووظائف كل منهما من قبل أن تظهر مثل تلك الدعاوى اللقيطة على ألسنة بعض الأفراد.

والباحث على دراية كاملة بما كتبه البعض –وهم قلة لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة– مهاجمين بعض النصائح والوصايا التي جاءت بقصيدة موانا كوبونا. ولقد انبرى لهم العالم السواحلي الجليل حمزة نجوزي Hamza Njozi يرد عليهم ردًا علميًّا مفندًا هجومهم، وناقدًا دعاويهم التي يعوزها الاطلاع على فكر الإسلام

وتعاليمه[١]. والباحث يؤيد حمزة نجوزي فيما ذهب إليه ويوافقه عليه، إلا أن الأمر استشكل على حمزة نجوزي فيما دعت إليه الأبيات ٢٥ -٢٧ بالقصيدة قائلًا ما يلي:

(إن موانا كوبونا تقول في الأبيات ٢٥ – ٢٧ إنه في يوم القيامة سيكون القول قول الزوج في مصير زوجته، «فإذا كان يريدك أن تذهبي إلى الجنة فستذهبي، وإذا قال بذهابك إلى النار فلا مفر منها». إن تأكيد كلامها هكذا يختلف وتعاليم الإسلام. فالقرآن يقطع قطعًا لا لبس فيه بأن كل إنسان مسئول عن عمله تمامًا. والقرآن يقول: { **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**}[٢]، ويقول أيضًا { **فاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**}[٣]. ويوضح القرآن أيضًا أن زوجتي نوح ولوط سيدخلان النار مع الأشرار، ولن ينقذهما إيمان زوجيهما الصالحين. وبالمثل فإن زوجة فرعون المؤمنة تنجو، بينما زوجها الفرعون يعذب. وهناك آيات قرآنية توضح أيضًا أن الابن لا يمكن ادعاء صلاح والده لنفسه أو العكس)[٤].

ويستطرد حمزة قائلًا: (إنني لم أتمكن على الإطلاق من تفسير لهذا التحريف العام لتعاليم الإسلام من سيدة مفروض فيها أنها عالمة علمًا غزيرًا. كما لا أستطيع العثور على مصدر موثوق لمعلوماتها هذه)[٥].

يتضح مما قاله حمزة آنفًا أن الأمر استشكل عليه في التوفيق بين ما قالته موانا كوبونا في الأبيات المذكورة (٢٥ – ٢٧) وبين ما جاء في القرآن الكريم من آيات بينات توضح أن كل نفس بما كسبت رهينة.

---

(1) Kiswahilik; Jarida La Taasisi Ya Uchunguzi Wa Kiswahili, Chuo Kikuu cha Dar es Salaam, Juzuu 57, 1990, PP. 55-67.

(٢) سورة المدثر، آية ٣٨.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٩٥.

(٤) مرجع حمزة نجوزي، مرجع سابق، ص٦٢.

(٥) نفس المرجع السابق.

وبادئ ذي بدء لا خلاف على الإطلاق في أن {**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**} في الإسلام، كما جاء في كتاب الله المنزل على رسول الله محمد –صلى الله عليه وسلم–، ولا خلاف في أن { **اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**}(١). كما أنه لا خلاف في أن امرأة فرعون لما أسلمت نجت دون زوجها غير المسلم، وقالت: { **رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**}(٢).

ولكن الخلاف مع حمزة –أو إن شئت قل نقطة اللبس مع حمزة– هو أنه أخذ كلمات الشاعرة الحكيمة بحرفيتها المقطوعة عن سياقها العام، وتاه عنه أن الشاعرة الأم تتحدث مع ابنتها المسلمة خيرًا بزوجها المسلم، يعني أنها في مقام من يتحدث عن واجبات الزوجة تجاه زوجها، وبما أن لكل مقام مقالًا فإن المقام مقام إظهار كل ما للزوج على زوجته من حقوق وواجبات.

ومعلوم للقارئ طبعا أن للزوجة هي الأخرى حقوقًا وواجبات على الزوج ليس هذا محلها ولا المقام مقامها. فالشاعرة بروحها الإسلامية الصافية أخذت تعدد هذه الحقوق وتلك الواجبات التي على الزوجة لزوجها، وأضافت من عندها ما ينبغي أن تسلكه الزوجة مع زوجها من سلوكيات تؤدي إلى زيادة الحب بينهما والارتباط ببعضهما وذلك من منظور فيه روح الإسلام.

وإذا كان ما على الإنسان –في الإسلام– من حقوق وواجبات ينقسم إلى قسمين: قسم متعلق بالعباد وهو المعاملات، وقسم متعلق بالله وهو العبادات، فإن ما بين الزوجين يدخل في المعاملات. ولأن الإسلام عبادة ومعاملة فإن الله تعالى –من كرمه وتكريمه للإنسان– قدم المعاملة على العبادة، بدليل أن الله تعالى يقبل التوبة عن

(١) سورة التحريم، آية ١٠.

(٢) سورة التحريم، آية ١١.

عباده فيما يتعلق بحقه سبحانه وتعالى في العبادات التي قصر في أدائها الإنسان، بينما لا يقبل التوبة من الإنسان في المعاملات إلا بعد أن يسامح الإنسان أخاه، في حالة إساءة أحدهما للآخر.

ولذلك فلو أن الزوجة المسلمة أساءت إلى زوجها المسلم أو أذنبت في حقه ولم يسامحها الزوج أو يعف عنها فلن تقبل توبتها من الله سبحانه. وتتفاوت الذنوب بتفاوت درجات الإساءة. فمثلًا لو أن زوجة رغب فيها زوجها، وأراد أن يجامعها فرفضت بدون عذر فإنها تبيت ليلتها تلعنها الملائكة، كما جاء في حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم-: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشة فلم تأته، فبات غضبانًا عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح». وفي رواية: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح». وفي رواية أخرى قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها».

ولذلك فإن زوجها إذا لم يرض عنها ويسامحها فإن الله سبحانه وتعالى –وهو أحكم الحاكمين- سيظل ساخطًا عليها، أي سيعاقبها على ذنبها. ولكن لو عفا عنها زوجها فإن الله تعالى يعفو عنها ويغفر لها ذنوبها، فيكون ذلك سببًا في دخولها الجنة. وهذا يشرح حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم- القائل: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة»[1].

ونظرًا لخطورة جانب المعاملات في الإسلام والتأكيد على أن «الدين المعاملة» فإننا نجد الله سبحانه وتعالى أكد للمسلمين على ألا يعتدوا. وفي حالة الاعتداء عليهم خيرهم بين أن يقتصّوا بالعدل من المعتدي أو أن يعفوا

(١) رياض الصالحين، مرجع سابق، صـ٩٥.

عنه، والعفو أقرب للتقوى. وفي ذلك يقول تعالى: { **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**}(١).

ويقول تعالى: { **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**}(٢). ويقول تعالى: { **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ**}(٣).

ولا ننسى أن الشاعرة إنما تتحدث في قصيدتها عن الزوجة المسلمة مع زوجها المسلم الفاهم لدينه، الذي إذا غضب فإنما يغضب لله، وإذا رضي فإنما يرضى لله، وإذا أحب فإنما يحب لله، وإذا كره فإنما يكره لله. وذلك كما نفهم من الوصايا والنصائح التي جاءت بالقصيدة. فهو ليس زوجًا يتبع هواه. وهذا واضح من أن الزوج المعنى في القصيدة هو المتخلق بخلق رسول الله في تعامله مع زوجته، إذ إنه لم يحدث يومًا واحدًا لزوج الشاعرة أن أذاها، كما تقول الأبيات ٥١، ٥٢، ٥٣ بالرغم من أنه كان رئيسًا لجزيرة سيؤ، ووراءه من المسؤوليات الجسام ما كان يمكن أن يشغله عن بيته وأهله، ولكنه الزوج المسلم الحريص على أن يعطي كل ذي حق حقه، متبعًا تعاليم الإسلام في ذلك، كما يوضحه السياق العام للقصيدة.

وعلينا أن ننتبه لفهم الشاعرة العميق لدينها في تأكيدها لابنتها على أنه «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» كما جاء في البيت الخمسين من القصيدة. وهذا الفهم الإسلامي الصحيح للشاعرة يعكس لنا بشكل واضح حرص الشاعرة على وصية ابنتها بالالتزام بشرع الله، وعلى تحذيرها إياها من مخالفة أوامر الله وإن كان في ذلك عصيانًا لأوامر زوجها. وهذا يوضح لنا صراحة –في نفس الوقت– إيمان الشاعرة بقوله تعالى: «كل نفس بما كسبت رهينة» بل وتعظ ابنتها بذلك.

---

(١) سورة البقرة، آية ١٩٤.

(٢) سورة المائدة، آية ٨.

(٣) سورة المؤمنون، آية ٩٦.

ولعل اللبس الآن يكون قد زال عند العالم الجليل حمزة نجوزي، وعلم أن موانا كوبونا في قصيدتها تعي ما تقول، وتفهم ما تقصد، في إطار دينها الإسلامي الحنيف.

ثم تنتقل الشاعرة بعد ذلك إلى وصايا عامة من شأنها تمكن للزوجة عند زوجها وذويهما، وعند جميع أفراد مجتمعهما، مما يجعل الانفصال بين الزوجين شبه مستحيل إن لم يكن مستحيلًا تمامًا. فتوصي ابنتها في البيت رقم:

٥٨- أن تحرص على تلبية دعوة صديقاتها في حالة ما إذا طلبن منها الزيارة.

٥٩- أن تلبي دعوتهن لها بالأكل دونما تردد أو تباطؤ.

٦٠- أن تأكل دون تأفف أو تصنع الشبع.

٦١- أن تتحرى اختيار صديقاتها بأن تكون من عباد الله المخلصين وممن يشتهرون بعفة اللسان.

٦٢- ألا تركن إلى أصحاب الجاه وعظمة المال، وألا تحتقر الفقراء، أو تقلل من شأنهم.

٦٣- أن تحب من يحبها، وأن تصل من يقطعها، إذ إنها بذلك تنال حب الجميع وودهم.

٦٤- أن تنتبه إلى تلبية طلب المحتاج والمسكين، دون أن تحاججه في طلبه.

٦٥- أن تلتزم بتنفيذ كل هذه الوصايا، وألا تتجاهل شيئًا منها. وبعدئذٍ سترى فوائدها الجمة في الدنيا والآخرة المتمثلة في السعادة الأبدية.

الأبيات ٦٦ – ٨٩:

تتوجه الشاعرة في هذه الأبيات إلى الله تعالى بأن يعفو عنها ويعافيها، وأن يعز الإسلام وأن ينصر أهله.

الأبيات ٩٠ – ١٠٢:

- تعرف القارئ أنها –وهي تنظم هذه القصيدة وتقرضها- كانت مريضة وراضية بقضاء الله.

- وتطلب من المسلمين قراءتها لعلهم يهتدون بها إلى الطريق المستقيم.
- وأن الهدف الأول من نظمها إنما هو لوصية ابنتها.
- وأنها أرادت أن تنبه ابنتها إلى طريق الله في الحياة مع زوجها.
- وتطلب من جميع السواحليات اللائي في عمر الزواج أن يقرأنها ليعرفن كيف يعاملن رجالهن، فلا يصيبهن أذى، لا في الدنيا ولا في الآخرة.
- وتخبرهن أن من تطع زوجها تكتسب الجمال، والجاه، والشهرة، والذكرى العطرة.
- ثم تقرّ أنها في هذه الدنيا تعيش إنسانًا غريبًا وعابر سبيل، يرجو رحمة ربه وغفرانه.
- وأنها ترجو عفو الله، وأن اسمها موانا كوبونا مشامو، وأنها مولودة في باتي.
- وأن تاريخ النظم ١٢٧٥هـ.
- وأن عدد أبيات القصيدة ١٠٢.
- وتختم بالدعاء لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله، وصحبه، وجميع المسلمين.

يقين الباحث:

وفي النهاية فإن الباحث على يقين من أن القارئ قد أحيط الآن علمًا بنوعية العلاقة الزوجية بين الزوجين السواحليين في الماضي، من خلال هذه القصيدة، وكيف كان الزواج أبديًّا، لحرص كل من الزوجين على تنفيذ أوامر الله المؤدية إلى السعادة في الدارين للطرفين، وكيف كان زواجًا معافًا من جميع الأمراض الجسدية والنفسية والاجتماعية، لعدم السماح لأي عنصر من عناصر الانحلال من أن يجد طريقًا لهذه الحياة الزوجية.

ونختم هذا التحليل بطرفة من طرائف السيدة/ حشمة بنت الشيخ ماتاكا، يعني ابنة موانا كوبونا، وذلك لما أراد قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة أن يأخذ صورة فوتوغرافية لها عام ١٩٢٣م، وتأخرت السيدة حشمة عليه، فرأى وكأنه لم يتلق المعاملة اللائقة، فقال لها: «تذكري أني ممثل الولايات المتحدة العظمى». فردت عليه في التو وبلا تردد: «وأنا ابنة السلاطين». قالتها وهي تنصرف عنه(١).

وتعني السيدة حشمة من ذلك أن أحدًا ليس بأفضل من أحد، وهو درس في الإنسانية والمساواة بين البشر.

– أما التساؤل الثاني للبحث فيجيب عنه العمل الأدبي الشهير المتمثل في مسرحية (حاجز الزمن) (Wakati UKuta)(٢) للأديب التنزاني المشهور إبراهيم حسين(٣).

وتتلخص المسرحية في أنها تطرح أربع مشاكل رئيسية تمثل الفروق بين جيل الآباء والأبناء فيما يخص العلاقة بين الرجل والمرأة في العصر الحاضر.

أولى هذه المشكلات تخص المظهر؛ فقد اختلف المظهر لدى جيل الأبناء عنه لدى جيل الآباء اختلافًا كبيرًا؛ فبينما والدة تاتو(٤) تحرص في لبسها على ارتداء الحجاب –إن لم يكن النقاب– لستر جسدها نجد تاتو – صاحبة العشرين خريفًا– تعتمد في لبسها على ارتداء «الميني جيب» إن لم يكن «الميكروجيب» لكشف جسدها.

(1) Alice Werner and William Hichens: The Advice of Mwana Kupona upon the Wifely Duty, The Azania Press, Medstead-Hampshire, 1934, P. 8.

(2) Wakati UKuta; Ebrahim Hussein, Nairobi, 1986.

(٣) ولد إبراهيم حسين في مدينة ليندي بتنزانيا عام ١٩٤٤م، وتخرج من جامعة دار السلام عام ١٩٦٤م، وفي عام ١٩٧٤م حصل من ألمانيا على درجة الدكتوراه في المسرح، عاد بعدها إلى دار السلام يعمل في التدريس بالجامعة حتى ١٩٨٧م. ترك التدريس بعد ذلك وعكف على الكتابة والتأليف المسرحي. وكانت أول طبعة لهذه المسرحية عام ١٩٧١م وأعيد طبعها بعد ذلك عدة مرات.

(٤) هي عائشة وعمرها ٤١ سنة، وهي محجبة، ليست في الحقيقة سيئة الطبع وإن ظهر ذلك عليها. خطؤها الوحيد –إذا اعتبر خطأً– أنها تريد من ابنتها أن تكون مثلها. وهي لا تنافس (بفتح الفاء) وخاصة في الملبس.

وهذا الاختلاف الكبير تستنكره والدة تاتو بالكلمات التالية التي تتفوه بها وهي كارهة:

"Humm. Hiyo kanzu imezidi tena. Si unatembea uchi hivyo. Fupi, imekubana, imekubana. Ndio uambiwe nini? Mzungu sana!" (1)

«عجبًا! إن هذا الفستان قد ازداد قصرًا مرة أخرى؛ لم يبق إلا أن تسيري عارية؛ إنه قصير للغاية، ويجسدك تجسيدًا يعصرك، فماذا يقال عنك؟ إنك أوربية قح!».

فترد تاتو متمتمة رافضة:

"Mama watoto wote wanavaa hivi hivi siku hizi"(2)

«أماه إن كل الشابات يلبسن هكذا هذه الأيام».

ثاني هذه المشكلات تخص السلوكيات التي ينبئ عنها هذا المظهر السابق. فتاتو لم تكد تنتهي من قولها السابق لأمها حتى تطلب منها الإذن في أن تخرج يوم الجمعة ليلًا، لمشاهدة أحد الأفلام السينمائية.

وتندهش الأم اندهاشًا فظيعًا لطلبها الخروج يوم الجمعة ليلًا، وهي تعلم أن العروض السينمائية الخاصة بالسيدات هي يوم الأحد نهارًا!! ثم إن البيت ليس فيه نقود تكفي لشراء تذكرة دخول السينما!! فتستمر تاتو في البوح بما قد عقدت عليه عزمها ونيتها، قائلة لأمها أن رفيقها سوائي(٣) سيرافقها في مشاهدة الفيلم، وسيدفع لها. وهنا لا تتحمل الأم هذه الصدمات فتخرج منها الاستفهامات الإنكارية التالية:

"Na huyu Swai ndio nani? Mwanamme? Na kwa nini yeye

«من عساه أن يكون سوائي هذا؟

(١) المسرحية، صـ٩.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) هو سوائي خميس وهو من عمر تاتو إذ يبلغ من العمر ٢١، وهو ابن عصره في الفكر والملبس، ولكنه في العلم راسب ثانوية، ويتعاطى المخدرات ويرتاد الملاهي للرقص.

هل هو ذكر؟ ولماذا يدفع لك للسينما؟

هل يعرفك؟ هل هو أبوك؟ أو من عساه أن يكون؟.

لماذا تظنين أنه يتحمل كل هذه المتاعب في أخذك إلى السينما؟ إنك الآن سيدة ناضجة، ألا تفكرين؟.

ليس هناك مرافقة بريئة بين ذكر وأنثى على وجه الإطلاق.

إنه كذب. فلا تخدعينا.»

«أليس هذا من حضارة الغرب؟ إنه تقليد للغرب مرة أخرى! ونحن لسنا بغربيين، فالأوربي والإفريقي شخصان مختلفان.

إنهن ليس لديهن حياء فمسايرة الواحدة منهن لهذا الرجل أو ذاك ليس بأمر ذي بال

وإنك ستدمرين سمعتك»

akulipie sinema? Anakujuaje?

Baba yako? Au nani?

Wewe unafikiri, anapata taabu hii yote ya kukuchukua sinema kwa nini, eh?

Wewe mwana mzima sasa huwezi kufikiria?

Hakuna urafiki baina ya mtoto wa kiume na mwana mwali, hata kidogo.

Uwongo. Usitudanganye.

Sio uzungu! Ndio kuiga uzungu

tena

Basi sisi si wazungu. Mzungu na Mwafrika mbali mbali. Mila zetu mbali mbali.

Wao hawana haya, anaweza kwenda na mume huyu na mume yule isiwe kitu …

Utaharibu jina lako bure"

ولما ترد عليها الابنة بأنها لا تكترث بأمر السمعة ولا بأمر الناس فيما سيقولون عنها،

تعلق الأم:

«وأنا أكترث —فلا أريد عارًا يمسني.

إن ما تفعلينه ليس بعارٍ عليك فقط، وإنما على الجميع؛ على أبيك وعلى عشيرتك بأكملها. فأنا زوجني والدي لما كبرت. وتزوجت من رجل ما كنت أعرفه ولا يعرفني، ولكننا وحتى الآن نعيش في وئام.

وسأفعل لك نفس الشيء حتى أراك في بيت الزوجية،

وبعدئذٍ الأمر أمرك في النهاية.

وإذا كان سوائي يحبك حقًا فليتقدم لخطبتك»

"Mimi najali – sitaki aibu mimi.
Unalofanya wewe sio aibu yako tu, bali ya wote, baba yako, ukoo mzima.
Mimi nimelelewa na wazee wangu, nilpokuwa mkubwa wakanipa mume.
Sikumjua, hakunijua, lakini mpaka sasa tunakaa vema.
Nami nitakufanyia hivyo hivyo.
Mpaka nikupe nyumba yako halafu hapo tena shauri yako.
Kama huyu Swai anakupenda mwache alete posa"

ولكن الابنة تعلق على ذلك بقولها: إن الزمان تغير والحال تبدل....[1].

إنه من الواضح للقارئ أننا أمام صراع كبير بين الأم وابنتها في المظهر والجوهر. فالأم تذم التبرج الذي يؤدي إلى انجذاب الذكور، وقيام علاقة جنسية محرمة بين الذكر والأنثى، بينما الابنة تعتقد أنه لا شائبة في التبرج، ولا في مرافقة الذكور. هناك بون شاسع بين موقفي الأم والابنة!! فالأولى في موقفها تفكر بعقلها وعقل مجتمعها المحافظ، والثانية تفكر بغرائزها وما تمليه عليها فلسفة تعليمها المعاصر القادم إليها من غير مجتمعها.

(١) المسرحية، صـ ١١ – ١٢.

هذا البون الشاسع بين موقفي الأم والابنة جعلهما يقفان تمامًا على طرفي نقيض. وكل طرف متمسك بموقفه في ضوء ما أملته عليه ثقافته وعصره؛ فكانت النتيجة أن خرجت الابنة مع سوائي رغمًا عن أنف والدتها التي غضبت غضبًا شديدًا، وهي تقول لابنتها ورفيقها:

«أخرجا، أخرجا جميعًا، فأنا لا أريد رؤيتكما. أقسم بالله أنه أفضل للإنسان أن لا ينجب من أن ينجب ابنة كهذه».

"..Tokeni, tokeni. Nyote sitaki kukuoneni
Afadhali kutozaa mtu ukashukuru Mungu. Wallahi! Kuliko kupata mtoto namna hii.[1]"

ولما يعود الأب جمعة[٢] (والد تاتو) وهو في العقد الخامس من العمر، تحكي له زوجته عائشة (والدة تاتو) ما حدث، فيتعجب عجبًا شديدًا! ولكنه لم يقر زوجته على طردها لتاتو؛ لأن في طردها لتاتو يعني مزيدًا من المشاكل، والتسكع في الطرقات والحانات مع من لا عمل لهم سوى التسكع. ويأخذ في شرح الموقف لزوجته مفلسفًا ومحللًا ما حدث تحليلًا منطقيًّا وتاريخيًّا. ويرجع السبب في كل ما حدث إلى التعليم، ونظام التعليم الذي وصل به الحال إلى استيراد المأكل والمشرب والملبس، والعادات والتقاليد من الغرب فتغرّب:

«فالآن أصبح ما يتلقاه أولادنا من علم إنما هو أوربي ونكسيهم كساءً أوربيًّا.
وعليه فسيقلدون الأوربيين لسانًا ورداءً وعادات وتقاليد،وما نراه عيبًا يرونه حسنًا.

"Basi na hawa sasa watoto wetu wanasoma kizungu, tunawavalisha kizungu, wanakwenda kusoma kizungu.
Na wataiga kizungu katika kusema, mavazi, mila, hata na tabia.
Sisi tunaona mabaya, wao wanaona

(١) المسرحية، صـ ١٤.

(٢) والد تاتو في العقد الخامس من العمر، يرتدي جلبابًا فوق السروال، ومعطفًا، وطاقية. لم يتعلم ولكنه مثقف، إنه ابن الساحل.

وإنني على ثقة في أنك لو كنت شرحت لتاتو هذا على مهلٍ لتفهمت».

mazuri.
Naamini katika akili yangu kama ungalimueleza Tatu kwa utaratibu angalielewa."

ومع ذلك يخرج الأب إلى شوارع المدينة وإلى جميع الأقارب يبحث عن ابنته فلم يجدها، فيمرض الوالدان نفسيًّا، فلا يأكلان ولا ينامان!!

ثالث هذه المشكلات تتمثل في الوصول بمشكلة المرافقة بين الرجل والمرأة إلى ذروتها عندما تقرر تاتو ورفيقها سوائي الزواج من بعضهما البعض عند مأمور الحي، دون علم أسرتيهما. ولما يعلم الوالدان من كريستينا(١) بأمر هذا الزواج تقع الأم مغشيًّا عليها!!

وينتشر الخبر في الحي؛ ويقع على أسماع وقلوب الجميع موقع الكوارث والنوازل، وتذهب الجارات لمواساة تاتو، ولتقصي الحقائق.

ولما تعيش تاتو الواقع مع سوائي تكتشف أنه يعمل كاتبًا متواضعًا في إحدى المصالح. وينفق مرتبه الهزيل في الملاهي ودور السينما، وثقل بالديون الشهرية التي يستدينها ليأكل ويشرب!! وعندما تنصحه تاتو بالتوقف عن حياة اللهو هذه ليسدد ديونه، وليجدا ما يأكلانه، يتبرم ويعتبر ذلك جحيمًا!! فتاتو تريده إنسانًا مستقيمًا؛ من العمل إلى المنزل ومن المنزل إلى العمل، ولكنه هو ضد ذلك تمامًا!! فيندم على زواجه من تاتو، ويفصح لها عن مكنون قلبه بأنه لم يتزوجها إلا إشفاقا عليها، بعد طردها من بيتها. فتجاهد نفسها على التكيف أن تعيش معه هذه الحياة المخزية المزرية، وهي تتذكر ما أفصح به:

(١) كريستينا صديقة تاتو، ومن عمرها، وأخبرتها تاتو وسوائي بما حدث، فرأت كريستينا من الحكمة أن تذهب بنفسها إلى والدي تاتو تخبرهما بما حدث لتهدئ من روعهما.

«آه! إن هذا لجحيم، أكل ونوم، أكل ونوم، هذه لم تعد حياة على الإطلاق.

كنت في الماضي أعيش مرتاحًا فيما بين السينما والرقص، إلا أني الآن من العمل إلى البيت ثم إلى العمل. لم يعد الإنسان يسعد ولو قليلًا.

إنني نادم، وها أنا ذا أكرر الآن ندمي، من ذا الذي يستطيع أن يتحمل مثل هذه الحياة؟».

"Ah hii adhabu tena – kula kulala, kula kulala – imekuwa si maisha haya tena.

Zamani nikikaa kwa raha - Sinema, densi, lakini sasa kazini nyumbani, nyumbani kazini.

Mtu hajifurahishi hata kidogo. Najuta.. Basi nasema sasa – ninajuta. Nani ataweza maisha ya namna hii?[1]"

ورغبة منها في تغيير هذا الجو الخانق، استأذنت تاتو من سوائي أن تذهب لزيارة صديقتها حميدة، فأذن لها، وما أن تخرج حتى تأتي بيلي[٢] لزيارة العريس والعروسة (سوائي وتاتو)، فيسعد سوائي بالزيارة أيما سعادة، ويبوح لها بعدم سعادته مع تاتو؛ وهنا يهم بها –وهو يخبرها– أنها هي حبه الحقيقي، وما تزوج تاتو عن حب، وإنما عن شفقة. وما أن يحاول عناقها عند الجانب البعيد من الباب حتى ينفتح الباب، وتدخل منه تاتو وصديقتها كريستينا، فتسمعان بعضًا من الحوار بين سوائي وبيلي، دون أن يشعر سوائي ومعه بيلي بدخولهما:

«**بيلي**: لا تضحك عليّ أيها السيد بأنك تحبني أنا، فلديك الست تاتو.

سوائي: انظري: إني لا أنكر أنني تزوجت تاتو، ولكنك تعرفين أن ذلك تم دون تفكير. ولما طرداها

"**Pili:** Usinichekeshe Bwana unanipenda mimi – Je siti Tatu.

Swai: Tazama … mimi sikatai kama nimemuoa Tatu, lakini … unajua hatukufikiria. Wazee walipomfukuza nyumbani katika

(١) المسرحية، ص٣٣ – ٣٤.

(٢) بيلي من رفيقات تاتو، وتحمل من الجمال أعلاه، وتبلغ من العمر الثامنة عشر، ولها من الذكور رفقاء ومنهم سوائي.

الوالدان من البيت غضبًا تزوجتها. فاعتقدت أنني أحبها، ولكن بعد هذه الشهور الثلاثة من الضيق أدركت أنني (وهنا يتبع بيلي يريد المسك بها، ولكن بيلي تفلت منه).»

hasira tukaoana. Vile vile nilifikiri nampenda, lakini baada ya miezi mitatu hii ya dhiki nimetambua kuwa (anamfuata Pili, anataka kumkamata. Pili anakimbia)[1]"

وهنا تقع المشكلة الأخيرة في المسرحية متمثلة في طلب تاتو الطلاق من سوائي، والدموع تنهمر من عينيها، ويجري بينهما الآتي:

«**تاتو**: أرى من الأفضل أن تطلقني.

سوائي: ما هذه الكلمات!! أين ستذهبين؟

تاتو: لا أعرف، ربما إلى والديّ، لعلهما يغفران لي ما فعلته فيهما.

سوائي: الوالدان!! إنك أقسمت أنك لن تعودي إليهما.

تاتو: كنت صغيرة، اعتقدت أني سأستطيع العيش دون مساعدتهما.

سوائي: لقد طلبت منك العفو، وها أنذا الآن أطلبه ثانية. لقد أخطأت.

"**Tatu:** Naona … ingalikuwa bora ukaniacha.

Swai: maneno gani hayo – utakwenda wapi?

Tatu: Sijui, labda kwa wazee wangu kama watanisamehe niliyowatendea.

Swai: Wazee – wewe uliapa kama hutarudi.

Tatu: Nilikuwa mdogo nilifikiri kuwa nitaweza kuishi bila kutaka msaada wao.

Swai: nimekuomba msamaha, na sasa nakuomba tena – nimekosa.

Tatu: Si kosa lako .. kosa letu sote

(١) المسرحية، صـ ٣٧.

تاتو: إنه ليس خطؤك، وإنما خطؤنا جميعًا، ولذلك لا معنى للومك أو لإيذائك.

لقد أخطأت لما تكبرت على والديّ. وأخطأت كذلك لما قبلت الزواج.

كان علينا أن نفكر قبل أن نتزوج، ولكننا لم نفعل. ظننا أنه يكفي أن نتحاب.

لم نعرف أنه —حتى الزواج– له وقته».

kwa hiyo haina maana kukulaumu au kukuudhikia.

Nilikosa kuwafanyia kiburi wazee.

Nilikosa vile vile kukubali ndoa.

Tungalifikiria kabla kuoana, lakini hatukufikiria. Tulifikiri madhali tunapendana basi inatosha.

Hatukujua kuwa hata ndoa ina wakati wake.[1]"

وتخرج تاتو قاصدة بيت والديها، لعلهما يسامحانها ويرضيان عنها. وتزيد بذلك من نسبة المطلقات والمرضى بأمراض نفسية وجسمية واجتماعية.

مثل هذا الزواج والخروج منه بمثل هذا الطلاق جعل نسبة الطلاق ترتفع للغاية في العقود الأخيرة بين المسلمين في شرق إفريقيا!! فإذا أخذنا بعض المدن التي تقطنها أغلبية مسلمة في شرق إفريقيا كمثال، نجد أن نسبة الطلاق في مومياس ٢٧% ونيروبي٤٧% ولامو ٥٠% وكوالي ٦٧% ومانديرا ٨٠% ومباسا ٨٢% وجاريسا ٨٦%[٢].

– إذًا ما الحل؟ وكيف يتم التوفيق والتصالح بين ما في قصيدة موانا كوبونا وبين ما في مسرحية إبراهيم حسين، لإصلاح العلاقة الزوجية؟

(١) المسرحية، صـ ٣٩ – ٤٠.

(٢) تقارير مكتب قاضي قضاة كينيا لعام ٢٠٠٠م.

هناك طرق كثيرة للتغلب على هذه المشكلة (مشكلة ارتفاع نسبة الطلاق بين مسلمي شرق إفريقيا) يمكن أن نستقيها من العلمين الأدبيين الذين نحن بصددهما، وبهذه الطرق يمكن التوفيق والتصالح بين القديم والحديث للحد من وقوع الطلاق.

أولًا: لابد من تعليم أولاد المسلمين التعليم الشرعي الذي به يميزون بين الحلال والحرام، وبين الفرض والسنة وبين المندوب والمكروه، كما نصت على ذلك أبيات قصيدة موانا كوبونا (١٢ – ٢١)، إن تحصيل التلاميذ لهذا العلم يحصنهم من الوقوع في الحرام ويبعدهم عن ارتكاب الصغائر والرذائل، فلا يقيمون علاقة جنسية غير شرعية، ولا حتى علاقة غرامية خيالية.

وهذا لا يتأتى إلا بإحدى وسيلتين: إما بإقامة دور العلم الخاصة بالمسلمين لتدريس المواد الشرعية مع المواد العلمية الأخرى في جو إسلامي، وإما بتضمين المناهج الدراسية هذا التعليم الشرعي، مع توفير البيئة المدرسية الإسلامية المنفذة لهذا التعليم الشرعي، وذلك إذا تعذر إقامة دور علم خاصة بالتلاميذ المسلمين، فبهذا التعليم يتأكد للتلاميذ مدى قدسية العلاقة الزوجية في الإسلام ومدى خطورة الطلاق.

ثانيًا: التأكيد والتأكد من أن هذه العملية الشرعية يصحبها سلوك مطابق لهذه التعاليم الشرعية، يستوي في ذلك الأستاذ والتلميذ: فيجب مراعاة تطبيق ما يتعلمه التلاميذ من علم شرعي تطبيقًا أمينًا على أرض الواقع في بيئتهم المدرسية وغير المدرسية، ومن هنا يجعلون على ربط العلم بالعمل، فينعكس ذلك إيجابيًا على حياتهم الزوجية في المستقبل، بل على جميع شئون حياتهم، وهذا ما تلمح به الأبيات (٢٢ – ٥٧) فهذه الأبيات تطالب بالتصالح الدائم بين الإنسان وربه، وبين الإنسان ووالديه، وبين الإنسان وزوجه؛ يعني بين الإنسان وخالقه، وبينه وبين جميع البشر. فلو أن تاتوا تعلمت هذا العلم وحرصت على تطبيقه ما كانت قد سمحت لنفسها أن تخالف نصائح

والدتها التي في صالحها، ولكنها لم تفعل هذا ولا ذاك فكانت الأمراض النفسية والاجتماعية التي أتعستها وأتعست والديها ومجتمعها.

ثالثًا: أن يتعلم الشباب –في إطار هذا العلم الشرعي– أن الزواج في الإسلام زواج أسر وليس زواج أفراد فحسب، ومن هنا الحكمة في الزواج الإسلامي من ولي وشاهدين وإشهار؛ فلو أن الأسرتين –أسرة تاتو وأسرة سواني– كانت حريصتين على هذا الزواج لعملتا بكل طاقتهما على إنجاحه ودوامه، ولو أنهما عملتا على ذلك ما كان قد وقع الطلاق، أو على أسوأ الفروض، ما كان هذا الطلاق ليقع بهذه السرعة!!

رابعًا: أن يتأكد الشباب في إطار تعاليم الإسلام –أن ارتكاب المعاصي إنما هو ارتكاب للأمراض والأوجاع، وضياع للأموال والأولاد والأوطان!! فبارتكاب تاتو لمعصية عقوق الوالدين تحطمت نفسيًّا وماديًّا وجسديًّا ثم طلقت، وبارتكاب سوائي لمعصية اتخاذه أخدان تحطمت حياته الزوجية، وأفلست جيوبه المالية، وركبته الهموم والأحزان، وغابت عنه طمأنينة النفس وراحة البال، وهذا ليس على نطاق الأفراد والأزواج فحسب، بل كذلك على نطاق البلدان والأوطان. وما سلبت أوطان المسلمين وثرواتهم إلا بارتكاب المعاصي من الجميع حكامًا ومحكومين!!

خامسًا: أن ينغرس في خلد التلاميذ والشباب من خلال العلم الشرعي أن الإنسان في الإسلام لا يكون إمعة أبدًا أبدًا يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت، بل لا بد من توطين النفس على الإحسان الدائم وتجنب إساءة الآخرين، ومحاولة إصلاحهم. وكان ينبغي على تاتو أن تحسن في لبسها بستر عورتها، ولا تسيء إلى نفسها، وأهلها، ومجتمعها، وعرفها وتقاليدها، بالتقليد الأعمى لغيرها في كشف عورتها، وارتداء ما قصر وضاق من الثياب، ولأنها لم تحسن في ذلك فقد جلبت لنفسها ذئب بشري أو ثعلب ماكر لم يرد منها شيئًا سوى

أن يفترس أغلى ما لدى الأنثى وهو بكارتها، ثم يتركها جثة رخيصة يزهد فيها كل من يبحث عن النفائس الغالية، والجواهر الثمينة، وهذا بالضبط ما فعله سوائي معها.

مراجع البحث

أولًا: القرآن الكريم:

ثانيًا: الحديث النبوي الشريف: (رياض الصالحين) للإمام أبي زكريا (يحي بن شرف النووي)، دار الدعوة، مصر.

ثالثًا: المراجع العربية:

- ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة): لسان العرب، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلًا كاملًا ومذيلة بفهارس مفصلة، دار المعارف، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل): الفوائد والقلائد، مصر، ١٣٢٧هـ.

رابعًا: المراجع الأجنبية:

- Abouegl (Mohammad Ibrahim): The Life and Works of Mohamadi Kijuma, London University, 1983.
- Allen (J.W.T.): Tendi, six examples of a Swahili classical verse form with translation & notes, Heinemann 1971.
- Chief Qadhi office of Kenya, Reports, Nairobi, 2000.
- Ebrahim Hussein: Wakati Ukuta, Nairobi, 1996.
- Harries (Lyndon): Swahili Poetry, Oxford University Press, 1962.

- Njozi (Hamza): Kiswahili, Jarida la Taasisi ya Uchunguzi wa Kiswahili, Chuo kikuu cha Dar es Salaam, Juzuu 57, 1990.
- Werner (Alice): The Utendi of Mwana Kupona, Harvard African Studies, Vol.1, Cambridge, 1917.
- Werner (Alice) & Hichense (William): The Advice of Mwana Kupona upon the Wifely Duty, The Azania Press, Medstead-Hampshire, 1934.